تحليل الخطاب النحوي القديم في ضوء مبدأِ التَّواجهِ الأقصى عند (ليتش) وقَواعده التأَدُّبِية ♦

الباحث حسام احمد هاشم
الأستاذ الدكتور خالد نعيم شناوه
قسم اللغة العربية / كلية الآداب /جامعة البصرة

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى دراسة الخطاب النحوي القديم في ضوء مبدأ التأدب الأقصى في ضمن نظرية التأدب لجيفري ليتش، وذلك للكشف عن مدى التزام النحويين بضوابط الخطاب المهذّب في حواراتهم العلمية، وآليات الحفاظ على صورة المخاطَب. وقد اعتمدت الدراسة منهجاً تداولياً قائماً على تحليل نماذج مختارة من المناظرات والتعقيبات اللغوية بين النحاة، مع تتبّع الصيغ التلطيفية والاستراتيجيات الخطابية التي تُسهم في تقليل التهديد بالوجه، مثل التخفيف من حدّة الإنكار، وتقديم الثناء قبل النقد، والتعبير بصيغ الاحتمال بدلالاتها الأدبية.

أظهرت النتائج أنَّ الخطاب النحوي لم يكن مجرّد عرض للآراء وتصويب للأقوال، بل كان فعلاً تواصلياً محكوماً بمعايير اجتماعية تدفع المتحاورين إلى مراعاة صورة الآخر حتى عند التصويب والمخالفة. وقد برز ذلك في استعمال عبارات التحفّظ والاعتذار الضمني، والموازنة بين الحزم العلمي والتهذيب الخُلقي. غير أنَّ الدراسة سجّلت كذلك مواطن خرق لمبدأ التأدب الأقصى، حين يشتدّ الموقف الحجاجي فيلجأ بعض العلماء إلى التخطئة المباشرة أو الحكم القاطع دون مواربة. وتخلص الدراسة إلى أنَّ الخطاب النحوي القديم يمثّل نموذجاً تفاعلياً يجمع بين الصرامة الحجاجية واللياقة الأسلوبية، وأنَّ تطبيق نظرية ليتش عليه يكشف عن وعي مبكر لدى النحاة بمفهوم أدب الحوار وإنْ لم يُصرّحوا به نظرياً.

الكلمات المفتاحية: **التأدب الأقصى، جيفري ليتش، الخطاب النحوي القديم، حفظ الوجه، الاستراتيجيات التداولية، التهذيب اللغوي.**

♦ تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥/١٠/١٤ تاريخ القبول: ٢٠٢٥/١١/٣٠

Analyzing Classical Grammatical Discourse in Light of Leech's Politeness Principle and Maxims ♦

Researcher Hussam Ahmed Hashim
Professor Dr. Khalid Naeem Shinawa
Department of Arabic Language, College of Arts, University of Basra

Abstract

This study aims to examine classical Arabic grammatical discourse in light of Geoffrey Leech's Politeness Principle and its maxims in order to identify the extent to which grammarians adhered to the conventions of polite discourse in their scholarly debates and discussions, as well as the mechanisms they employed to preserve the interlocutor's face. The study adopts a pragmatic approach based on the analysis of selected examples from grammatical debates and linguistic commentaries among classical grammarians. Particular attention is given to mitigating expressions and discourse strategies that reduce face-threatening acts, such as softening criticism, offering praise before objection, and employing expressions of probability and indirectness with their rhetorical implications.

The findings reveal that grammatical discourse was not merely a presentation of opinions and corrections of linguistic judgments; rather, it functioned as a communicative practice governed by social and ethical norms that encouraged scholars to maintain the dignity and image of others even in situations of disagreement and correction. This is evident in the use of hedging expressions, implicit apology, and the balance maintained between scholarly rigor and ethical politeness. At the same time, the study identifies instances in which the Politeness Principle was violated, particularly in highly argumentative contexts where some scholars resorted to direct criticism or categorical judgment without mitigation. The study concludes that classical grammatical discourse represents an interactive model that combines argumentative precision with stylistic politeness, and that the application of Leech's theory reveals an early awareness among grammarians of the ethics of dialogue, even if it was not explicitly theorized.

Keywords: Politeness Principle, Geoffrey Leech, classical grammatical discourse, face-saving, pragmatic strategies, linguistic politeness.

♦ **Received: 14/10/2025** **Accepted: 30/11/2025**

المقدمة

على الرغم من الأهمية الكبرى لمبدأ التواجه والمساحة التي شغلها في التداولية إلّا أنَّه "يجعل التهديد هو السِّمة المميزة للأقوال، ويجعل العمل التهذيبي مقصوراً على التقليل من هذا التهديد ... فهو لا يطلب التقرّب من الآخرين. بمعنى تحقيق الألفة بينه وبينه . بقدر ما يبذل الجهد في التحوّط من التهديد، مع العلم بأنَّ الأُنس والإلفة والقُرب كلُّها من المقاصد الضرورية للتواصل الإنساني؛ ... ولذا، فإذا فاق مبدأ التواجه مبدأ التأدب من جهة عنايته بالجانب العملي من التهذيب، فإنَّه قَصُر قصوراً عن الاشتغال بالبعد التقريبي من العمل التهذيبي"[١].

من هنا جاءت أهمية وجود مبدأ التأدب الأقصى لـ (جيفري نيل ليتش)، وقد أورده في كتابه (مبادئ التداولية)، الذي نشره عام ١٩٨٣، إذ يُعدّ مبدأً مكمّلاً لمبدأ التعاون "وينطلق ليتش من مبدأ التعاون، ناقداً ومستدركاً، فيقرّ بأهميته، بوصف التعاون هو الأساس المفترض لتوجيه طرفي الخطاب؛ لأنَّه الرابط بين قصد المرسِل في خطابه ومعنى الملفوظ الدلالي. أمّا قصوره فيكمن في انحسار دوره على تنظيم التواصل، والوقوف عند المستوى التبليغي للخطاب، مُغْفِلاً مبادئ التداول الاجتماعية والنفسية، كما لا يمكن تعميم صلاحيته في المجتمعات كلها"[٢].

وبناءً على القصور الذي وقع من مبدأ التعاون، فضلاً عن نقده لمبدأ الوجه الذي يجعل التهديد هو السِمة البارزة له إذ يجعل العمل التهذيبي مقصوراً على التقليل من هذا التهديد اقترح صياغة مبدأ التأدب الأقصى لإقالة عثرة مبدأ التعاون ومبدأ التواجه اللذين خليا من تأسيس الصداقات، "فيُصبح هو جزء التخاطب الضروري، من خلال توظيف بعض الأدوات والآليات اللغوية في الخطاب؛ لأنَّ دور التأدب لا يقف عند تنظيم العلاقات فحسب، بل يتجاوز إلى تأسيس الصداقات، مما يجعله هو أساس التعاون، لئلا تنقطع عرى التواصل بين الناس، مما يَصْعُب معه إعادتها"[٣]، لذلك فإنَّ مبدأ التأدب الأقصى يَفْضُل مبدأ التعاون كونه يهتم بالجانب التهذيبي للخطاب، وهو يَفْضُل مبدأ التواجه أيضاً من جهة اعتباره للبعد التقريبي من العمل التهذيبي الخاص بالمخاطبة . إذ التأدب لا يقف عند تنظيم العلاقات فحسب، بل يتجاوز إلى تأسيس الصداقات، ما يجعله أساس التعاون مؤكِّداً الحفاظ على أواصر التفاعل والعلاقات الاجتماعية.

لهذا صاغ ليتش مبدأه في صورتين اثنتين[٤]:

إحداهما سلبية هي: قَلِّل من الكلام غير المؤدب.

والثانية إيجابية هي: أَكْثِر من الكلام المؤدب.

وهاتان الصورتان في رأي ليتش تُجَنِّب المتحاورين من الوقوع في النزاع.

ويرى الدكتور حاتم عبيد "أنَّ ليتش لم يقدِّم تعريفاً دقيقاً للتأدب، بل اكتفى بالإشارة إلى وجود شكل سلبِيّ من التأدب يقوم على التقليل من التعابير التي يعتقد أنَّها من قلَّة التأدب والتي لا تخدم السامع، وشكل آخر من التأدب إيجابي مداره على الترفيع من التعابير التي يعتقد أنَّها من باب اللباقة والتأدب والتي تكون في مصلحة السامع"[٥].

وبناءً على صياغته لمبدأ التأدب الأقصى في صورتين اثنتين سلبية وإيجابية، فقد عمل على إعادة تقسيم أفعال الكلام تبعاً لما ترتبط به الغاية المجتمعية لإثبات المجاملة واللياقة والحفاظ على الكياسة، والتي من دونها تتحول المحادثة إلى مواجهة يغلب عليها الصدام والتوتر، فاستقرت الأفعال في أربع درجات، هي[٦]:

١. أفعال تنافسية: التي يغلب فيها الهدف الإنجازي الهدف الاجتماعي، إذ تحمل هذه الأفعال نزعة تنافسية، فهي تقضي أداء سلبياً غير مؤدَّب أساساً، كالأمر والسؤال والطلب والاعتذار.

٢. أدب الترحيب أو ما يسمى (أفعال بهجية): التي يتطابق فيها الهدفان الإنجازي والهدف الاجتماعي، مثل العرض والترحيب والودّ والشكر والتهنئة، وهنا يكون التأدب الإيجابي مطلوباً لتقرير هذه الأعمال.

٣. التناصر والدعم أو ما يسمى (أعمال تعاونية): التي لا تتأثر أهدافها الخطابية بالأهداف الاجتماعية، فهي أعمال تبليغية بحتة، كالتبليغ والإعلام والإخبار والإرشاد، والتأدب لا ينفع في مثل هذه الأعمال.

٤. الصراع أو ما يسمى (أعمال تصادمية): التي تتعارض أهدافها مع الأهداف الاجتماعية، مثل الاتهام والتهديد والتهجم والقذف والشتم، ومن البديهي أنَّ التأدب غير وارد في مثل هذه الأعمال.

من خلال هذه التقسيمات لأفعال الكلام التي صنفها ليتش وجعلها أساساً لبناء مبدئه، نرى أنَّها تشابه إلى حدّ كبير ما جاء به براون وليفينسون في نظريتها. مبدأ الوجه. فالنوع الأول من هذه الأفعال وهي الأفعال التنافسية فيها تأدب سلبي، والنوع الثاني وهي الأفعال البهجية يوجد فيها تأدب إيجابي، أمّا النوع الثالث من هذه الأفعال وهي الأعمال التعاونية فتقابل استراتيجية التصريح عند براون، والنوع الرابع وهي الأعمال التصادمية هي خرق لمبدأ التأدب وتعد تهديداً لماء الوجه.

"وقد أعاد ليتش تصنيف الأفعال اللغوية عند سيرل، فأدرجها ضمن هذه الأصناف حسب الوظيفة الإنجازية، بدلاً من معايير سيرل الكثيرة، وفرّق بين نوعين من أنواع التأدب، وهما: التأدب النسبي، والتأدب الأقصى. ثمّ ركّز على التأدب الأقصى في دراسته. فقننه في قواعد ذات صور ثنائية، فنتج عن ذلك ست قواعد"[٧]. وهذه الصور هي:

١. قاعدة اللباقة، وصورتاها:

ا. قَلِّل من خسارة الغير،

ب. أكثِر من ربح الغير.

٢. قاعدة السخاء أو الجود والكرم، وصورتاها:

أ. قَلِّل من ربح الذات،

ب. أكثر من خسارة الذات.

وهنا يكون معيار الخسارة من نصيب المتكلم، فهو يقلل من الربح لنفسه، ويزيد من ربح المخاطَب، فالمتكلم هو الذي يقوم بدور المتبرع، ويحاول أنْ يتَّصف بصفة الاستئثار بالنفس، نحو ذلك لو أنَّ أحداً سأل عن مسألة في النحو، فقال: يمكنك أنْ تُجيب عن المسألة إنْ أردت. وهذه العبارة تكون أكثر تأدّباً من قولنا: هل تستطيع الإجابة عن المسألة؟ لأنَّ العبارة الثانية من منظور ليتش تكون أقل تأدّباً من الأولى لأنَّ فيها استفهاماً؛ قد يوقع المخاطَب ببعض الحرج[٨].

٣.قاعدة الاستحسان، وصورتاها:

أ.قَلِّل من ذمِّ الغير،

ب.أكثر من مدح الغير.

هذه القاعدة تُفضي إلى التقليل من ذم المخاطَب إنْ كان هنالك جانب سيء عنده، وفي المقابل على المتكلم أنْ يُكثِر من مدح المخاطَب وإظهار الجوانب الإيجابية لديه[٩].

٤.قاعدة التواضع، وصورتاها:

أ.قَلِّل من مدح الذات،

ب.أكثر من ذمِّ الذات.

نجد أنَّ هذه القاعدة معاكسة لقاعدة الاستحسان، إذ إنَّها تتحدث عن ذات المتكلم، فهي تُعنَى بتقليل مدح ذات المتكلم، ومن جانب آخر عليه أنْ يُكثِر من ذم نفسه ونقدها أمام المخاطَب، فإذا مدحك أحدهم مثلاً فقال: أنت رجل طيِّب القلب، فعليك أنْ تجيبه بقولك مثلاً: حقاً، هل تراني كذلك؟[١٠].

٥.قاعدة الاتفاق، وصورتاها:

أ.قَلِّل من اختلاف الذات والغير،

ب.أكثر من اتفاق الذات والغير.[١١]

وهي التقليص من التعابير الدالة على أنَّ المتكلم في خلاف المخاطَب، وفي المقابل الإكثار من التعابير التي تُظهِر المتكلم على اتفاق مع المخاطَب، أو تكثير الموافقة بين الذّات والمتكلِّم.

٦.قاعدة التعاطف، وصورتاها:

أ.قَلِّل من تنافر الذّات والغير،

ب.أكثر من تعاطف الذّات والغير.

وهي التقليص من كل ما من شأنه أنْ يولِّد الكراهية والنفور بين المتكلم والمخاطَب، والإكثار من التعابير الدّالة على التعاطف بينهما. فالمتكلم يُظهِر تعاطفه مع المخاطب، ويُشعِره بأنَّه مشارك له في جميع أموره إنْ كانت مُفرِحَة أو حزينة، نحو لُطْف التهاني ومجاملة التحايا[١٢].

وبات من الواضح أنَّ ليتش قد صاغ " قواعده بناء على مقتضى قانون الربح والخسارة، بمفهوم الاقتصاد، انطلاقاً من ربح الغير مقابل خسارة الذّات، فجعل قاعدة اللباقة هي القاعدة الرئيسة، أمّا القواعد الأخرى فقواعد متفرعة عنها، ولا بدّ للمرسِل أنْ يلتفت إلى مراعاة غيره، كما يلتفت إلى نفسه في أثناء التلفظ بخطابه"[١٣].

ولذا يمكننا أنْ نلخص ما جاء به ليتش في نظريته.مبدأ التأدب الأقصى.بالآتي:

١. إنَّ التأدب لا يقف عند تنظيم العلاقات فحسب، بل يتجاوزه إلى تأسيس الصداقات، مما يجعله أساس التعاون.

٢. إنَّ الذّات كلها تُصبِح المحور الذي يتوجه صوبه الخطاب.

٣. صاغ قواعده على أساس الربح والخسارة.

٤. قاعدة اللباقة هي القاعدة الرئيسة.

٥. يجب على المرسِل أنْ يلتفت إلى مراعاة المخاطَب، كما يلتفت إلى نفسه في أثناء الخطاب.

٦. التأدب مع المخاطَب يُفضي إلى عدم التأدب مع الذات.

٧. استعمال التعابير غير المباشرة وعدّها من التأدب مع التعابير المباشرة وهو ما يسمى بمبدأ التعاون.

مشكلة البحث

تتمثّل المشكلة في غياب دراسات منهجية تربط بين الخطاب النحوي القديم والقواعد التأدبية الحديثة، ومحاولة الإجابة عن السؤال الآتي:

كيف تُسهم قواعد مبدأ التواجه الأقصى عند ليتش في تفسير طبيعة خطاب علماء النحو ووجوه التأدب فيه؟

أهداف البحث

١. إبراز البعد التداولي في الخطاب النحوي القديم.

٢. تحليل مظاهر التأدّب في خطابات النحاة وفق مبدأ التواجه الأقصى.

٣. الكشف عن الأساليب التي تُعزّز صورة المخاطَب وتقلّل من حدّة المواجهة.

٤. بيان مدى انسجام هذا الخطاب مع النظريات التأدبية المعاصرة.

منهج البحث

المنهج التحليلي الوصفي: لتحليل النصوص النحوية.

المنهج التداولي: لتطبيق مبدأ التواجه الأقصى وقواعده (المديح، التواضع، المساواة، التقليل من الذات...).

أولاً: قاعدة اللباقة في الخطاب النحوي القديم

تقوم هذه القاعدة على مبدأ الربح والخسارة، أي تقليل خسارة الغير والإكثار من ربحه، لذلك وضع ليتش قاعدة خاصة لهذا المبدأ، هو:

١. قلل من خسارة الغير،

٢. أكثر من ربح الغير

وقد اتسم عدد كبير من الخطابات النحوية القديمة بالالتزام بهذه القاعدة، ومن ذلك ما ورد في الحوار الذي جرى بين الكسائي (ت ١٨٩هـ) وأبي يوسف القاضي (ت ١٨٣هـ) بحضرة الرشيد، حول الفرق بين فتح همزة (إنَّ) المخففة وكسرها.

روى الأحمر النحوي: "دخل أبو يوسف الفقيه على الرشيد وعنده الكسائي يُحدِّثه، فقال: يا أمير المؤمنين، قد سَعُدَ بك هذا الكوفي وشغلك. فقال الرشيد: النحو يستفرغني، أستدل به على القرآن والشعر"(١٤).

نلحظ أنَّ أبا يوسف خاطب الرشيد بقوله: "يا أمير المؤمنين، قد سَعُدَ بك هذا الكوفي وشغلك"، في إشارة إلى خطاب الكسائي، وهو ما يُعدّ خرقاً لمبدأ التأدب، إذ أقحم أبو يوسف نفسه، وفرض حضورَه على الخليفة بطريقة غير لائقة. ومع ذلك، كان ردّ الرشيد أكثر لباقة، إذ قال: "النحو يستفرغني، أستدل به على القرآن والشعر"، وهو خطاب يلتزم بمبادئ التأدب ويظهر حرصه على المحافظة على أصول الخطاب الرسمي بعكس أبي يوسف.

ومن النماذج التي تميزت بالتزام مبدأ التأدب، ما ورد في الخطاب الذي دار بين أبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ) والوزير ابن الفرات، في سياق الحديث عمّا جرى بين السيرافي وأبي بشر متّى (ت ٣٢٨هـ) من مناقشات نحوية في عدد من المسائل.

إذ خاطب ابن الفرات جميع من كان في مجلسه من العلماء للردّ على متّى بقوله: "لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشّرّ والحجة من الشبهة والشك من اليقين إلَّا بما حويناه من المنطق وملكناه من القيام به، واستفدناه من واضعه على مراتبه وحدوده، فاطلعنا عليه من جهة اسمه على حقائقه. فَأَحْجَمَ القوم وأَطْرَقُوا"(١٥). إذ زعم أنَّ المنطق له الفضل الكبير على باقي العلوم؛ فلما سكت جميع من حضر المجلس قال ابن الفرات: "واللهِ إنَّ فيكم لَمَنْ يَفِي بكلامِهِ ومُناظَرَتِهِ، وكَسْرِ ما يَذْهَبُ إليه، وإنّي لأَعُدُّكُم في العِلْمِ بُحُوراً، ولِلدِّينِ وأَهْلِهِ أَنْصارًا، ولِلْحَقِّ وطُلّابِهِ مَناراً، فَما هذا التَّرامُزُ والتَّغامُزُ اللذانِ تُجَلُّونَ عنهُما؟"(١٦)، فنرى المخاطِب يختار من الكلمات أفضَلَها وأعذَبَها ومن المعاني أجزَلَها، فهو خطاب يحوي على أسلوب تأدبي فيه من الأفعال الكلامية التعبيرية ما يوحي إلى أنَّ المتكلم كان ملتزماً بمبادئ التأدب ومتبعاً لقاعدة من قواعده، " فكان الوصف الطويل أوفى بغرض المتكلم الذي تقتضيه قاعدة اللباقة في نهوض المخاطَب إلى إنجاز الأمر"(١٧).

وبعد ذلك يتحول الخطاب إلى السيرافي فيكون هو المتكلم، فنراه يبدع في خطابه مع الوزير بلحاظ قوله: "اعذِرْ أيُّها الوزيرُ، فإنَّ العِلْمَ المصونَ في الصُّدورِ غيرُ العِلْمِ المعروضِ في هذا المجلسِ على الأسماعِ المُصِيخَةِ، والعيونِ المُحْدِقَةِ، والعقولِ الجَامَّةِ، والألبابِ النَّاقِدَةِ؛ لأنَّ هذا يَسْتَصْحِبُ الهَيْبَةَ، والهَيْبَةُ مُكْسَرَةٌ، ويَجْتَلِبُ الحَياءَ، والحَياءُ مُغَلَّبَةٌ، وليسَ البِرازُ في مَعْرَكَةٍ غاصَّةٍ كالصِّراعِ في بُقْعَةٍ خاصَّةٍ"(١٨)، فرده على الوزير كان في قمّة اللباقة لاختياره الفعل الكلامي الذي أفصح عن تأدبه في ردّه على ما ذُكر من قَبل.

ومن ثم نجد ابن الفرات ملتزماً بهذه القاعدة ومحافظاً عليها مع السيرافي عندما وقع الاختيار عليه لمناظرة متّى، إذ يقول: "أنت لها أبا سعيد، فاعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك، والانتصار في نفسك راجع إلى الجماعة بفضلك"(١٩)، ويُسهم هذا الأسلوب الخطابي في تعزيز قبول المخاطَب للحديث، من خلال ما ينطوي عليه من تهذيب

وتلطّف، إذ يتيح للمتكلِّم كسب رضا المخاطَب وتقليل احتمالات المواجهة أو الرفض. ومن هذا المنطلق، أمكن للسيرافي أنَّ يقبل بمناظرة متّى، نظرًا لما وجد في الخطاب من لياقة لفظية واحترام يُراعي مبدأ التأدب في التفاعل الحواري.

وبعد ذلك رأينا السيرافي متبعاً الأسلوب التخاطبي نفسه مع الوزير ابن الفرات بلحاظ قوله: "مُخالَفَةُ الوَزيرِ فيما يَأمره هُجْنَةٌ، والاحْتِجانُ عن رَأْيِهِ إِخْلادٌ إِلى التَّقْصيرِ، ونعوذُ باللهِ مِن زَلَّةِ القَدَمِ، وإِيّاهُ نَسْأَلُ حُسْنَ التوفيق في الحَرْبِ والسِّلْمِ"[٢٠]، فيختار من الكلمات ما يُعْجَب بها السامع ويستأنس بها القارئ، وهذا من باب التأدب في الخطاب مع الآخرين.

ومن أمثلة الخطابات التي ظهر فيها تجاوز لقاعدة اللّباقة، ما ورد في الحوار الذي جرى بين الخليفة المهدي (ت ١٦٩هـ) ومؤدّب ولده، بحضور الكسائي (ت ١٨٩هـ)، وكان موضوع النقاش يدور حول صيغة الأمر من: السِّواك.

إذ "كان عند المهديّ مؤدب يؤدب الرّشيد، فدعاه يوماً المهديّ وهو يَسْتَاكُ فقال: كيف تأمر من السِّواك؟ فقال: اسْتَكْ يا أمير المؤمنين. فقال المهديّ: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ثم قال: التمسوا لنا من هو أفهم من ذا"[٢١].

يتجلّى في هذا الخطاب أنَّ الخليفة المهدي كان في موقعين متزامنين: موقع المخاطِب وموقع الحَكَم، إذ توجه بالسؤال إلى مؤدّب ولده حول الصيغة الصحيحة للأمر من "السِّواك"، فأجابه المؤدِّب بقوله:" اسْتَكْ ". وعلى الرغم من صحة هذه الإجابة من الناحية اللغوية[٢٢]، فإنَّ المهدي أبدى انزعاجه منها، ولم يُظهر قبولاً بها، بل جاء ردُّ فعله على نحو ينطوي على خرق لقاعدة اللباقة، وذلك من خلال استرجاعه بقوله: "إنّا لله وإنّا إليه راجعون"، ثم طلبه البحث عن من هو "أفهم" من المخاطَب بقوله : "التمسوا من هو أفهم من ذا". ومما يُعمّق هذا الخرق أنَّ المؤدب لم يكن مخطئًا، بل كان موفقاً في إجابته، مما يجعل ردّ المهدي خروجاً واضحاً عن مقتضيات اللباقة واحترام الطرف الآخر، الأمر الذي يبرز بجلاء اختلال التوازن الخطابي وتراجع مبدأ التأدب في هذا المقام.

ثانياً: قاعدة السخاء والجود والكرم في الخطاب النحوي القديم

عَلَى المُتَكَلِّمِ في هذهِ القاعِدَةِ أَنْ يُقَلِّلَ مِن رِبْحِهِ في الخِطابِ، ويَزِيدَ مِن رِبْحِ المُخاطَبِ، وإِنْ كانَ ذلِكَ خَسارَةً لهُ، فَيَكُونَ هو المُتَبَرِّعَ دائِمًا، سَواءٌ أَكانَ ذلكَ الجُودُ مالاً، أَو هَدايا عَيْنِيَّةً أَوْ مَعْنَوِيَّةً، تَتَّسِمُ باختِيارِ الأَلْفاظِ الَّتي تُوحي بهذهِ الصِّفَةِ مِنَ التَّأَدُّبِ.

ومِن خلالِ دِراسَتِنا لمَجْمُوعَةٍ مِنَ الخِطاباتِ النَّحْوِيَّةِ التي صَدَرَتْ عن عُلَماءِ العَرَبِيَّةِ، وَجَدْنا أَنَّ هناكَ مَنْ اتَّصَفَ بهذهِ الصِّفَةِ وَالْتَزَمَ بِها عنَ خِطابِهِ، وأَكْثَرُ ما يَكُونُ ذلكَ بَيْنَ العُلَماءِ والخُلَفاءِ أو الأُمَراءِ الَّذِينَ يَهْتَمُّونَ بِالنَّحْوِ، ومِثَالُ ذَلكَ ما دَارَ بين المازني (ت ٢٤٧هـ) والخليفة الواثق (ت ٢٣٢هـ) حول بيت الشعر: **أَظُلَيْمُ إنّ مُصابَكم رَجُلاً.**

"اشتُرِيت للواثق جارية من البصرة بمئة ألف، فغنَّته يومًا:

أَظُليمُ إنَّ مُصابَكُمُ رَجُلًا ... أَهْدَى السَّلَامَ إِلَيْكُمُ ظُلْمُ"[٢٣]

فقال لها الواثق: قولي: "رجلٌ". فقالت: لا أقول إلّا كما علمتُ. فقال للفتح بن خاقان: كيف هو يا فتح؟ فقال: هو خبرُ إنَّ، كما قال أمير المؤمنين. فقالت الجارية: أخذت هذا الشعر من أعْلَم الناس بالعربية. فقال: ومَن هو؟ قالت: بكر بن عثمان المازني، وكان يُعرِبُ شعرَ غنائي. فأمر الواثق بإشْخَاصِهِ من البصرة، فأُشْخِص.

قال أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل: قال أحمد بن يحيى: فلقيَني يعقوب بن السكيت، فسألني، فأجبتُه بالنصب، قال: فأين خبرُ إنَّ؟ قلت: "ظُلْم"، ثم أُتِي بالمازني. قال أبو القاسم بن إسماعيل: قال أبو العباس المبرد: قال المازني: فلما دخلت على الواثق، سأل فقال: باسمُك؟ -وهي لغة بلْحارث بن كعب- فقلتُ: بَكْر، يا أمير المؤمنين. فقال: مَن خَلَّفتَ وراءك من العيْلة عند شُخُوصِكَ؟ قلت: أخيَّة تَحُلُّ مِنِّي محلَّ البنت. قال: فما قالت لك عند فِراقك لها؟ فقال: قالت لي ما قالت ابنةُ الأعشى لأبيها[٢٤]:

فيا أَبتا لا ترمِ عِنْدنا ... فإنا بخيْرٍ إذا لم تَرِمْ

ويا أَبتا لا تَزَلْ عندنا ... فإنا نخافُ بأَن تُخْتَرَمْ

أرانا إذ أَضْمَرتْك البلا ... دُ نُجْفَى ويُقْطَعُ منَّا الرَّحِمْ

فقال الواثق: كأنّي بك قد قلت لها:

تقول بنتي وقد قَرَّبْتُ مرتَحلًا ... يا ربِّ جنِّبْ أبي الأوصابَ والوَجعا[٢٥]

عليكِ مثلُ الذي صلّيت فاغتمضي ... نومًا فإنَّ لجنب المرء مُضْطجَعا

ثم قال: فما قلتَ لها عند ذلك؟ قال: قلتُ ما قال جريرُ لابنته[٢٦]:

ثِقي باللهِ ليس له شريكٌ ... ومِنْ عندِ الخليفة بالنَّجاح

فقال الواثقُ: ثق بالنجاح من عند الله عزّ وجلّ، ومِن عندنا يا بكْر. ثم سألني عن البيت، فأجبتُ بما قالت الجارية. قال: وأمر لي بِصِلة جَزْلة، وأجرى عليَّ كلَّ شهرٍ مئة دينار؛ فكنتُ بحضرته"[٢٧].

وفي ضوء الحوار الذي دار بين أطراف الخطاب، وجدنا جارية الخليفة هي من ابتدأت في الحوار، وكان الخليفة يستمع لها، ومن ثمّ يتحول الخطاب منها إلى الخليفة ليكون هو المتكلم وهي المخاطَب بلحاظ قوله لها: "قولي: رجل".

وبعد ذلك يتحول الخطاب إلى شخوص أخرى لا مجال لذكرها إلّا ما يهمّنا في دراستنا.

يُرسل الخليفة في طلب المازني، فيمثُل الأخير بين يديه، ويبدأ بينهما الخطاب الرئيس الذي يُشكّل محلّ النظر في هذا الموضع. ويسبق هذا الخطاب تمهيدٌ يتضمّن إشارات إلى خلفية للمسألة، إذ يُطمئِن المتكلِّم . الخليفة . مخاطبَه . المازني . بعد أن اطّلع على ما جرى بينه وبين أخته من خطاب، ويُبدِي تجاهه سلوكاً يَنُمّ عن كرمٍ وتقدير بلحاظ قوله: "ثِقْ بالنجاح من عند الله عز وجل، ومن عندنا يا بكر". فأمّله بالنجاح، وهذا كرم وجود من المتكلم اتجاه المخاطب.

ومن ثم يدخل معه في صميم المسألة، إذ يقول المازني: " ثم سألني عن البيت فأجبت بما قالت الجارية. ثم سأله . أي الخليفة : أين خبر إنّ؟ فقال . أي المازني . الحرف الذي في آخر البيت، ألا ترى . يا أمير المؤمنين . البيت كأنَّه مُعَلَّق لا

معنى له حتى يتمّ في هذا الحرف". فيُعجب الواثق بما رآه من المازني ويثني عليه ويكرمه بلحاظ قول المازني: "وأَمَرَ لي بِصِلَةٍ جَزْلَةٍ، وأَجْرَى لي في كُلِّ شَهْرٍ مِائَةَ دينارٍ". فنرى المخاطِب يلتزم بمبدأ التأدب. قاعدة السخاء والجود والكرم. مع المخاطَب.

ومن ذلك ما رُوي عن أبي يوسف القاضي (ت ١٨٣هـ) والكسائي (ت ١٨٩هـ)، حينما كتب هارون الرشيد إلى أبي علي ليفتيه في هذه الأبيات:

"كتب الرشيد لَيْلَة إِلَى القَاضِي أبي يُوسُف يسْأَله عَن قَول الْقَائِل:

فَإِنْ تَرْفُقِي يَا هِنْدُ فالرِفْقُ أَيْمَنُ ... وَإِنْ تَخْرُقِي يَا هِنْدُ فالخَرْقُ أشْأَمُ

فأَنْتِ طَلَاقٌ وَالطَّلَاقُ عَزِيمَةٌ ... ثَلَاثٌ وَمن يَخْرُقْ أَعَقُّ وأَظْلَمُ "[٢٨]

إذ أراد الرشيد أنْ يستعلم عن توجيه "والطلاق عزيمة ثلاث" أهي بالرفع أم النصب، وبكم تُطلق بالرفع، وبكم تُطلّق بالنصب؟

فالخطاب التواصلي هنا يكون بين الرشيد وهو المخاطِب وبين أبي يوسف القاضي وهو المخاطَب، ويكون الخطاب في حدود الالتزام بمبدأ التأدب بلحاظ قول الرشيد لأبي يوسف: " أفتنا أحاطك الله"، ومرّ بنا هذا التوجيه لهذه القاعدة فيما سبق.

ومن ثمَّ نجد الخطاب ينقطع بينهما ليبدأ خطاب تواصلي آخر، يكون بين أبي يوسف القاضي وبين الكسائي، إذ إنَّ الأول يُؤثِر في نفسه أنْ يُجِيب في مسألة فيها جَنْبِة نحوية لئلا يُخطئ فيها، لذلك نجده يتوجه بالخطاب إلى الكسائي؛ لأنَّه يجده أفضل منه في هذه المسألة، وهذا من التأدب الذي يحمله العلماء.

يُلاحظ في هذا الخطاب أنَّ أبا يوسف القاضي يتوجه بالسؤال إلى الكسائي، مما يجعله المتكلم، في حين يكون الكسائي هو المتلقي. وبعد انتهاء هذا التفاعل الحواري، يتبيّن أنَّ أبا يوسف قد تلقّى جوائز وهبات من الخليفة مكافأةً له على إجابته عن المسألة. إلَّا أنَّ أبا يوسف لم يحتفظ بشيءٍ منها لنفسه، بل وجّهها كاملةً إلى الكسائي، كما يروي بقوله: "فحُمِلَت عليّ آخر الليل جوائز وصلات، فوجّهت بالجميع إلى الكسائي" [٢٩]. هذا السلوك يُعدّ تجلياً واضحاً لمبدأ الجود والكرم في نظرية ليتش، إذ يقتضي هذا المبدأ أنْ يُقلّل المتكلم من المنفعة التي تعود عليه، ويُعظّم المنفعة التي تعود على المخاطَب. فقد تخلّى أبو يوسف عن الهبات التي تلقاها، مُقدِّماً إيّاها إلى مخاطَبه من دون أنْ يحتفظ بشيء لنفسه، الأمر الذي يعكس درجةً عالية من السخاء والتقدير للمخاطَب في سياق تواصلي يتسم بالتأدب والسمو الأخلاقي.

وفي خطاب آخر نجد الخليفة المهدي (ت ١٦٩هـ) يسأل مؤدب ولده عن الأمر من: السِّواك، فيُجيبه ذلك المؤدب بإجابة لم يقتنع بها، وبيّنّا هذا الخطاب في موضع سابق، وكيف خرق المتكلم. الخليفة. مبدأ التأدب مع المخاطَب.

ولسبب عدم اقتناع المتكلم بإجابة المخاطَب ينقطع هذا الخطاب ويبدأ خطاباً آخر، يكون المهدي فيه المخاطِب أيضاً، والكسائي (ت ١٨٩هـ) هو الطرف الآخر منه أي المتلقي.

ويبدأ الخطاب بسؤال المتكلم للمخاطَب:

"قال: يا علي بن حمزة، قال: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: كيف تأمر من السِّواك، قال: سكْ يا أمير المؤمنين، قال: أحسنت وأصبت وأمر له بعشرة آلاف درهم"[٣٠].

يُلاحظ أنَّ الخطاب التواصلي الثاني بين الخليفة المهدي والكسائي قد اتسم، منذ بدايته، بالتزامٍ واضح بقواعد التأدب وفق منظور التداولية، ولاسيما من جهة قاعدتي "التعفف" و"الجود". فقد ابتدأ المهدي خطابه بتوجيه النداء إلى الكسائي مستعملاً اسمه مجرّداً" يا عليُّ بن حمزة"، وهو أسلوب يحمل دلالة على الرقة والتعفف في الخطاب، ويعبّر عن مراعاة مكانة المخاطَب من دون تصنّع أو تكلّف.

وفي المقابل، جاء ردّ الكسائي ملتزماً كذلك بقواعد التأدب، إذ قال: "لبيك يا أمير المؤمنين"، وهو تعبير ينمّ عن احترام وتقدير عالٍ للمقام السلطاني، على الرغم من أنَّ العلاقة بين الطرفين لم تكن مسبوقة بتعارف شخصي، ما يُضفي على الاستعمال مزيدًا من الطابع التأدبي.

ثم يستمر الخطاب محافظاً على هذا النسق، إذ يطرح المهدي سؤاله بصيغة التخيير: "كيف تأمر من السواك؟"، وهي صيغة تخييرية تؤدي وظيفة تلطيفية تخفف من وقع الطلب، وتُبرز التواضع في مقام السلطة. ويأتي جواب الكسائي بصيغة مختصرة: "سكْ يا أمير المؤمنين"، محافظاً على تعفف لغوي يتماشى مع طبيعة المقام.ويُتوَّج هذا التفاعل بسلوك دالّ على مبدأ الجود كما حدده ليتش، حين يُعجب الخليفة بإجابة الكسائي، فيأمر له بعشرة آلاف درهم، وهو فعل يحمل دلالات واضحة على الكرم والسخاء، ويُعدّ صورة من صور التأدب من جهة المتكلِّم الأعلى مقاماً، إذ يكرِّم المخاطَب على أسلوبه وحكمته، مُظهِراً بذلك تقديره للعلم وأهله في إطار من التواصل المؤدب والمتبادل.

ثالثاً: قاعدة الاستحسان في الخطاب النحوي القديم

تنصّ هذه القاعدة على الإكثار من مدح المخاطَب والتقليل من ذَمِّه، وإنْ كان لديه عيوبٌ فعلى المخاطِب ألَّا يُظْهِرها.

وفي ضوء ذلك وجدنا جملة من الحوارات التي دارت بين طرفي الخطاب تقع في دائرة هذه القاعدة، التي تمثّلت في ما كان بين يونس بن حبيب (ت ١٨٣هـ) وسيبويه (ت ١٨٠هـ) في القطع عن التبعية للترحم.

قيل "وحدث المازني قال، قال الأخفش: كنت عند يونس فقيل له: قد أقبل سيبويه، فقال: أعوذ بالله منه. قال: فجاء فسأله فقال: كيف تقول مررتُ به المسكينِ؟ فقال جائز أنْ أجرّه على البدل من الهاء، قال فقال له: فمررت به المسكينُ على معنى المسكينُ مررت به، فقال: هذا خطأ لأنّ المضمر قبل الظاهر.

قال فقال له: إنَّ الخليل أجاز ذلك وأنشد فيها أبياتاً، فقال: هو خطأ، فَغَمَّنِي ذلك، قال: فمررتُ به المسكينَ، فقال: جائز فقال: على أيّ شيء ينصب؟ فقال: على الحال، فقال سيبويه: أليس أنت أخبرتني أنَّ الحال لا تكون بالألف واللام؟ فقال له: صدقت، ثم قال لسيبويه، فما قال صاحبك فيه، يعني الخليل؟ فقال سيبويه:

قال لي إنَّه ينصب على الترخيم، فقال: ما أحسن هذا، ورأيته مغموماً بقوله نصبته على الحال"[٣١].

وإذا ما ذهبنا إلى تفكيك هذا الخطاب نجد ثَمَّة تبادلاً للأدوار في الخطاب بين يونس وسيبويه، أحدهم يسأل والآخر يجيب صاحبه، ويبتدئ الخطاب بيونس فيكون هو المتكلم ويسأل سيبويه عن مسألة نحوية فيجيب، وبذلك يكون سيبويه هو المخاطَب.

ومن خلال هذا الحوار خُرِقت كثير من قواعد التأدب وكان النصيب الأكبر منها ليونس، مع التزامهم ببعض مبادئ التأدب.

وبعد الجدل والمناقشة فيما بينهم؛ يُعجب يونس بِرَدِّ سيبويه: "فقال له: ما أحسنَ هذا"، إذ يتضمن أسلوب التعجب هذا موافقة يونس لرأي الخليل الذي ذكره سيبويه مع التعبير عن إعجابه به واستحسانه.

ومن ذلك أيضاً ما كان بين يونس بن حبيب (ت١٨٣هـ) والكسائي (ت ١٨٩هـ)، في إعطاء الفاعل حكم المفعول في الإعراب.

روى محمد بن سلّام أن الكسائي قَدِمَ: "البصرة على الرّشيد، فجلس إلى يونس في حلقته، فألقى عليه بعض من حضر في المجلس بيت الفرزدق[٣٢]:

غَدَاةَ أُحَلَّتْ لابنِ أَصْرَمَ طَعنةٌ حُصَيْنٍ عَبِيطَاتِ السَّدائِفِ والخَمْرُ

وأنْشَدَهُ هكذا، فقيلَ للكسائيّ: على أيّ شيءٍ رَفَعْتَ «الخمرُ»؟ فقالَ: أَضْمَرْتُ فِعْلًا، كأنَّهُ: «وحَلَّتْ لهُ الخمرُ»، فقالَ يونسُ: ما أَحْسَنَ واللهِ ما وَجَّهْتَهُ

غير أنَّى سمعت الفرزدق ينشد:

غَدَاةَ أَحَلَّتْ لابنِ أصْرَمَ ضربةً ... حُصَيْنٍ عَبِيطَاتُ السّدائِفِ والخَمْرُ

جعل الفاعل مفعولاً، كما قال الحطيئة[٣٣]:

فلمّا خَشِيتُ الهُونَ والعِيرُ مُمْسِكٌ على رَغْمِهِ ما أَمْسَكَ الحَبْلَ حافِرُهْ

والقصيدة على الرفع، جعل الفاعل مفعولاً، فقال الكسائيّ: هذا على هذا وجه"[٣٤].

في هذا الخطاب وجدنا أنَّ هنالك أكثر من طرف، إذ إنَّ المتكلم الذي سأل الكسائي لم تُعرف شخصيته: "فقيل للكسائي: على أي شيء رفعت؟ " فهو غير معلوم، ويكون الكسائي هنا المخاطَب ويجيب عن السؤال الموجّه له.

ومن ثمّ تتبيّن شخصية المتخاطِبَين، وتصبح بين يونس والكسائي بلحاظ إعجاب يونس بجواب الكسائي عن السؤال الذي سئل عنه ذلك بقوله: "ما أحسنَ . والله . ما وجهته"، إذ نجد "في هذا الحوار النحوي يُعَبِّر يونس بالفعل الكلامي التعبيري... عن تعجبه، ومدحه لهذا التوجيه النحوي البارع، ومدى رضاه بدعوى الكسائي والاقتناع بها، فقد أظهر إعجابه ورضاه بما قدّمه الكسائي من توجيه لهذه المسألة النحوية، فأسلوب التعجب جاء هنا ليحمل شحنة سلوكية نفسية ظاهرة، تتمثل في الشكل الخارجي اللفظي للتركيب، وما يحمله هذا التركيب من شحنة داخلية تتمثل في

قصد المتكلم وهو التعجب، موظفاً في سياق حديثه التداولي أسلوب القسم، ليؤكد على أنَّ التوجيه الذي اعتمده الكسائي في هذه المسألة كان توجهاً جيداً ومقبولًا"[٣٥].

وعلى العكس من ذلك نجد هناك من خرق هذا المبدأ في الخطاب، كالحوار الذي دار بين أبي يوسف القاضي (ت ١٨٣هـ) والكسائي (ت ١٨٩هـ) وما صدر من فعل كلاميّ من يعقوب بحقّ الكسائي.

قيل: "أخبرنا القاضي أبو العلاء الواسطيّ، أخبرنا محمّد بن جعفر التّميميّ، أخبرنا أبو بكر الدارمي، وأبو عليّ النقار، وأبو العبّاس محمّد بن الحسن الهذلي قالوا: حدّثنا أحمد بن فرح قال: سمعت أبا عمر الدّوريّ يقول: كان أبو يوسف يقع في الكسائي ويقول: أيش يُحْسِنُ؟ إنَّما يُحْسِنُ شيئاً من كلام العرب، فبلغ الكسائي ذلك، فالتقيا عند الرشيد، وكان الرّشيد يعظم الكسائي لتأديبه إياه "[٣٦].

إذ تكلّم يعقوب في غيبة الكسائي وقال عنه: " أيش يُحسنُ؟ " وهذا الكلام ربّما كان في حضرة المجموعة الخطابية التي جاءت على ذكر الكسائي، فهو طعنٌ وذمٌّ بالكسائي وصنعته، وهذا خرق لقاعدة الاستحسان التي تنصّ على التقليل من ذمّ المخاطَب والإكثار من مدحه.

رابعاً: قاعدة التواضع في الخطاب النحوي القديم

تُعدّ قاعدة التواضع من القواعد المهمة في مبادئ التأدب، إذ على طرفي الخطاب أنْ يَتحلَّيا بهذه الصفة ولاسيما العالِم منهم، لذلك حَثَّ الله تعالى على هذه الصّفة، إذ ذكر في القرآن الكريم قوله: ﴿وَٱخفِض جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلمُؤمِنِينَ﴾[٣٧]، أي يجب على المتكلم أنْ يتواضع أمام الآخرين وأنْ يقلل من مدح الذات وإطرائها مع ذمّ الذات ونقدها.

ومما جاء في بعض الخطابات بين علماء النحو القدماء وكانوا مُتَّسِمين بها بصفة التواضع، ما دار بين أبي يوسف القاضي (ت ١٨٣هـ) والكسائي (ت ١٨٩هـ).

قيل: " حَدَّثَ أبو العباس أحمد بن يحيى قال: حدثني سلمة عن الفراء قال:

كتب الرشيد في ليلة من الليالي إلى أبي يوسف صاحب أبي حنيفة: أفتنا أحاطك الله في هذه الأبيات[٣٨]:

فَإنْ تَرَفَّقِي يَا هِنْدُ فَالْرِفْقُ أَيْمَنُ ... وَإِنْ تَخْرِقِي يَا هِنْدُ فَالْخَرْقُ أَشْأَمُ

فَأَنْتَ طَلَاقٌ وَالطَّلَاقُ عَزِيمَةٌ ... ثَلاثًا وَمَنْ يَخْرِقْ أَعُقَّ وَأَظْلَمُ

فَبَيْنِي بِهَا إِنْ كُنتِ غَيْرَرَفِيقَةٍ ... وَمَا لِمَرِئٍ بَعْدَ الثَّلَاثِ مُقَدَّمُ

فقد أنشد البيت ((عزيمةٌ ثلاثٌ)) و ((عزيمةٌ ثلاثاً)) بالنصب، فبكم تطلق بالرفع؟ وبكم تطلق بالنصب؟ قال: قال أبو يوسف: هذه مسألة فقهيةٌ نحوية، إنْ قلت فيها بظني لم آمن الخطأ، وإنْ قلت لا أعلم قيل لي كيف تكون قاضي القضاة وأنت لا تعرف مثل هذا. ثم ذكرت أن أبا الحسين علي بن حمزة الكسائي معي في الشارع فقلت: "ليكن رسولَ أميرِ المؤمنين بحيث يُكرم"[٣٩].

نجد أنَّ أبا يوسف يُسأل من الخليفة عن مسألة نحوية فقهية "قال أبو يوسف: هذه مسألة فقهيةٌ نحوية، إنْ قلت فيها بظَنِّي لم آمن الخطأ، وإنْ قلت لا أعلم قيل لي كيف تكون قاضي القضاة وأنت لا تعرف مثل هذا. ثم ذكرت أنْ أبا الحسين علي بن حمزة الكسائي معي في الشارع، فقلت: ليكن رسول أمير المؤمنين بحيث يكرم " فيتحرَّج الإجابة عنها وذلك مخافة أنْ يُخطئ فيها وهو القاضي، فيذهب إلى الكسائي ليجد الإجابة عنده، و " عند النظر في عبارة أبي يوسف السابقة (إنْ قلت بِظَنِّي لم آمن الخطأ)، والمقصد التداولي في إنجاز هذا الفعل التلفظي ليس الإخبار الظاهر لنا من الصورة اللغوية للعبارة، بل إظهار الفعل التعبيري الضمني الحذر والتحرز، وتجنب الوقوع في الخطأ خوفاً من القيل والقال "[٤٠]، والتحرز والحذر لا يعنيان أنَّه لم يكن على معرفة بالجواب بل العكس من ذلك، فهذا من التواضع الذي اتسم به أبو يوسف في هذا الخطاب.

ومن مبادئ التأدب .قاعدة التواضع .ما رأيناه عند الرياشي (ت ٢٥٧ هـ) في خطابه مع ثعلب (ت٢٩١هـ).

رُوي عن أبي العباس أنَّ الرياشي قَدِم إلى "بغداد في سنة ثلاثين ومائتين فنزل درب الأزج أو درب الزنوج، فأتيته لأكتب عنه فقال: أسألك عن مسألة؟ قلت: سل. قال: نِعْمَ الرَجَلُ يقومُ. قلت: الكسائي يضمر رجل يقوم، والفراء لا يضمر، لأنَّ نِعْمَ عنده اسم وعند الكسائي فعل ويقوم من صلة الرجل. وسيبويه يقول: إنَّه ترجمة. قال: صدقت. قلت: فتقول: يقومُ نِعْمَ الرجلُ؟ قال: نعم؟ قلت: هذا مخالفٌ لقول صاحبك، والكسائي والفراء يجيزانه، لأنَّ الترجمة إذا تقدمت فسد الكلام، لأنَّه إنَّما أتى بها في آخره ليظهر معنى الكلام. فقال: أنا تاركٌ للعربية فاقصد لما أتيت له"[٤١].

يُستهلُ هذا الخطاب بالتزام واضح بمبدأ التأدب، إذ يُلاحظ أنَّ المتكلم لم يُقدِم على مخاطبة الطرف الآخر بصورة مباشرة أو آمرة، بل بدأ بالاستئذان، كما يتضح من قوله: "أسألك عن مسألة"، وهو تعبير ينطوي على تعفف واحترام، يُظهر حرصه على مراعاة صورة المخاطَب وحقّه في قبول الحديث أو رفضه. ويُعدُّ هذا الأسلوب من مظاهر السلوك اللغوي المؤدَّب، الذي يُعلي من شأن المخاطب ويمنحه دوراً فاعلاً في التفاعل الكلامي.

ثم يمضي الرياشي في طرح سؤاله على ثعلب، إلى أنْ يُصَرِّح بقوله: "أنا تارك العربية، فاقصد لما أتيتَ له". وهذا القول – على الرغم من صياغته الإخبارية المباشرة – يتضمن فعلاً تداولياً يحمل بُعداً تأدُّبياً واضحاً، يتمثل في التواضع أمام المخاطَب. فالمتكلم، وهو الرياشي، يُعدُّ من كبار علماء النحو البصري، وينتمي إلى الطبقة السابعة من علمائهم، ومع ذلك يُصَرِّح بعبارة "أنا تارك العربية" حين خالفه ثعلب في الرأي، ما يكشف عن قدرٍ عالٍ من التواضع العلمي، واحترام رأي الطرف الآخر، حتى لو خالفه. وهذا الموقف يُجسّد مبدأ تجنّب الإضرار بصورة الذات، كما تطرحه نظرية براون وليفينسون، ويؤكد حرص المتكلم على حفظ ماء وجه المخاطَب وتقديم صورة مُهذّبة للنفس في الوقت نفسه

وعلى النقيض من ذلك وجدنا من يخرق هذا المبدأ من النحويين رأينا اليزيدي (ت ٢٠٢ هـ) غير متواضع في خطابه مع الكسائي (ت ١٨٩ هـ) فيما دار بينهم حول توجيه مسألة "لا يكون المُهْرُ مُهْرٌ" بالرفع أو النصب.

رُوي عن أبي إسحاق الطلحي قال: "حدثنا أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الكاتب عن أبيه قال":

سأل اليزيدي الكسائي بحضرة الرشيد وقال: انظروا، في هذا الشعر عيب؟ وأنشده[٤٢]:

ما رَأَيْنَا خَرِبًا نُقِرَ... عَنْهُ الْبِيضُ صَقْرُ

لَا يَكُونُ الْعِيرُ مِهْرًا ... لَا يَكُونُ الْمِهْرُ مِهْرُ

فقال الكسائي: قد أَقْوَى الشاعر. فقال اليزيدي انظر جيداً. فقال: أَقْوَى؛ لا بد أنْ ينصب المهر الثاني على أنَّه خبر كان.

قال: فضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض وقال: أنا أبو محمد، الشعر صواب"[٤٣].

يتكوّن هذا الخطاب من طرفين رئيسين، هما: الكسائي واليزيدي، ويجري الحوار بينهما في مجلس الخليفة هارون الرشيد. يفتتح اليزيدي الحوار باستعمال فعل توجيهي في قوله: "انظروا"، موجِّهاً الحديث إلى الحاضرين، ومُستدرجاً انتباههم إلى ما سيُطرح من مسألة.

ومن خلال هذا التفاعل، يتضح خرق اليزيدي لمبدأ التأدب، ولا سيما مبدأ التواضع في نظرية ليتش، الذي يندرج في ضمن مبدأ المجاملة العامة، إذ يُفترض في المتكلم أنْ يُقلل من شأن ذاته أو يمتنع عن تعظيمها أمام الآخرين[٤٤]. وقد بَدَا خرق هذا المبدأ جليًّا في فعل اليزيدي حين "ضرب بقلنسوته الأرض وقال: أنا أبو محمد"، وهو سلوك تعبيري ينطوي على فعلين كلاميين تعبيريين يعكسان تعالي المتكلم على مخاطبه في حضرة المجلس. وعلى وفق نظرية ليتش في التأدب، يُعدّ هذا الموقف خروجاً عن قاعدة التواضع، إذ إنَّ المتكلم يُعْلِي من شأن ذاته على حساب تقليل شأن الآخر، وهو ما يتعارض مع قواعد اللباقة الخطابية المتوقعة في السياقات الحوارية الرسمية.

جاء الفعل التعبيري الأول بـ"فضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض" وهو فعل تعبيري مباشر كان كردّة فعل منه تدل على شدّة الفرح والسرور التي اختلجت نفسه، وهو فعل يدلّ على عدم تواضعه أمام المجلس.

أمَّا الفعل الكلامي التعبيري غير المباشر الثاني فهو قوله: "أنا أبو محمد"، الذي لم يكن الهدف منه التعريف بنفسه. إذ إنَّ "غرضه الإنجازي يفيد معنى الإعجاب بالنفس، والغرور، وحبّ الذات، مُفتخراً بفوزه وانتصاره على خصمه الكسائي في المناظرة ومُعجباً بنفسه أمام الأمير"[٤٥]، وهذا ما دلّ عليه سياق الحال عندما ضرب بقلنسوته الأرض، فهذا التصرف وهذا القول منه خرق لقاعدة التواضع.

خامساً: قاعدة الاتفاق في الخطاب النحوي القديم

يقصد بهذه القاعدة أنَّ المتكلم مطالب – من منطلق تأدُّبي – بأنْ يُكثِر من عناصر الخطاب التي تُظهِر الانسجام والتوافق مع المخاطَب، وأنْ يُقلِّل في المقابل من مظاهر الاختلاف أو التباين معه، وذلك من أجل الحفاظ على الانسجام التفاعلي، وتجنُّب تهديد صورة المخاطَب. ويُعدّ هذا التوجّه من صميم ما تؤكده المبادئ التداولية للتأدب، ولاسيما ما يرتبط منها بمراعاة صورة الآخر وتقليل التهديد لها، كما في نظرية ليتش.

ومن أدب الاتفاق ما رأيناه عند الرياشي (ت ٢٥٧هـ) في خطابه مع ثعلب (ت ٢٩١هـ)، حول مسألة القول في حذف المخصوص بالمدح.

روى ثعلب أنَّ الرياشي قَدِم إلى "بغداد في سنة ثلاثين ومائتين فنزل درب الأزج أو درب الزنوج، فأتيته لأكتب عنه فقال: أسألك عن مسألة؟ قلت: سَلْ. قال: نِعْمَ الرجلُ يقومُ. قلت: الكسائي يضمر رجل يقوم، والفراء لا يضمر، لأنَّ نِعْمَ عنده اسم وعند الكسائي فِعْلٌ ويقوم من صلة الرجل. وسيبويه يقول: إنَّه ترجمة. قال: صدقت"[٤٦].

نجد أنَّ هذا الخطاب يتألف من طرفين، أولهما الرياشي، والطرف الثاني هو ثعلب، وهذه المسألة ذُكِرت في قاعدة التواضع.

يبدأ الرياشي الخطاب بتوجيه السؤال إلى ثعلب، بعد أنْ يقدّم استئذاناً صريحاً، في سلوكٍ يعكس التزاماً بمبدأ التأدب القائم على احترام المخاطَب ومنحه حرية القبول أو الرد. ويُجيب ثعلب عن السؤال، في حين يُظهر الرياشي توافقاً مع إجابته من خلال قوله: "صدقت"، وهو تعبير يحمل دلالة واضحة على الإقرار بصحة قول المخاطَب، ويُعدّ مظهراً من مظاهر الالتزام بقاعدة الاتفاق في التأدب التداولي، إذ يجنح المتكلم إلى تأكيد الانسجام مع الطرف الآخر وتعزيز صورته الإيجابية. ويُفْهَم من هذا التفاعل أنَّ الخطاب قد جرى في ضمن إطار حواري يتّسم بالاحترام المتبادل، ويُراعي المبادئ التداولية التي تنظّم سلوك التخاطب المؤدَّب.

ويتواصل الخطاب فيما بينهم، ويسأله عن مسألة أخرى: " ثم قال لي: إنِّي سائلك عن مسألةٍ سألنا عنها الأخفش:

لم قالت العرب، نعم الرَجُلان أخواك، فثنوا الرجل وهو جنس من الرجال على أخواك، والمعبر عن الجنس لا يثنى ولا يجمع. فقلت له: لمَّا صُرِفَ الفعل إلى الرجل جرى مجرى الفاعل فثنى وجمع لذلك. فقال: هكذا قال لنا الأخفش"[٤٧]، ويحصل التوافق في هذه المسألة بلحاظ قول الرياشي: "هكذا قال الأخفش".

ومن الخطابات التي شهدت توافقًا بين المتخاطِبين، ما ورد في الحوار بين ثعلب (ت ٢٩١هـ) والمبرّد (ت ٢٨٦هـ)، حول مسألة دخول الكاف في قول الله تعالى: ﴿لَيسَ كَمِثلِهِۦ شَيء﴾[٤٨].

قال الزجاجي "حدثني محمد بن أحمد بن مابنداذ قال: حدثني أبو العباس ثعلب قال: دخلت دار محمد بن عبد الله بن طاهر في يومٍ من الأيام، فوجدت في الدار محمد بن يزيد، وعلي بن عبد الغفار، فقال علي: قد اجتمعتما وأريد أنْ أسأل عن مسألة. فقلت له: سَلْ. فقال: ما معنى قول الله جلّ وعزّ: لَيسَ كَمِثلِهِۦ شَيء"؟ فقلت: معناه ليس مثله، وليس كمثله، المعنى فيه واحدٌ، والعرب تدخل الكاف ليعلم أنَّها كالأسماء ومثل مثل. فالتفت إلى محمد بن يزيد فسأله فقال: هذا جوابٌ مقنع"[٤٩].

الملاحظ على هذا الخطاب أنَّه انبنى على ثلاثة أطراف، الأول منهم علي بن عبدالغفار وهو المتكلم في هذا الخطاب، والطرف الثاني والثالث ثعلب والمبرّد وهما المخاطَبَان هنا.

يبادر المتكلم إلى الاستئذان قبل طرح سؤاله بقوله: "أريد أنْ أسأل عن مسألة"، وهو تعبير يُجسِّد أحد المبادئ الأساسية للتأدب في الخطاب، بما ينسجم مع قاعدة التخيير في نظرية لايكوف، ومع مفهوم الوجه السلبي لدى براون وليفينسون. وبعد هذا التمهيد المؤدَّب، يبدأ المتكلم بطرح سؤاله، فيبادر المخاطب الأول . ثعلب . إلى الإجابة، في تفاعل يُظهر التوازن في الأدوار الخطابية، ويعكس بيئة حوارية يسودها الاحترام والتقدير المتبادل.

ثم يوجّه المتكلّم الخطاب إلى المخاطَب الثاني، ويطرح عليه السؤال نفسه، فتأتي إجابته مُنسجمةً مع إجابة المخاطَب الأول، كما يُفهم من تعقيبه: "هذا جواب مقنع"، قاصداً به جواب ثعلب. ويتّضح من ذلك التزام المتكلّم بمبدأ التأدب، إذ يُظهر قبولَه لجواب المتكلّم السابق دون تعارض أو انتقاص، ما يعكس مراعاةً لمقام الحوار واحتراماً لتسلسل الأدوار التخاطبية، إذ "أنجز المتكلم في هذه الجملة الأسمية فعلاً تعبيرياً ... عبّر من خلاله المبرد عن شعوره بالرضا والإعجاب بقول ثعلب في المسألة؛ حيث توافرت فيه الإقناعية؛ والإقناع من وسائل الحِجاج، فلا يترك المتكلم للمتلقي حجة للرفض أو عدم القبول"[٥٠].

يُسجَّل من بين الخطابات النحوية المتبادلة ما دار بين مروان بن سعيد (ت ١٨٩هـ) والكسائي (ت ١٨٩هـ)، إذ بادر مروان إلى طرح عدد من القضايا النحوية على الكسائي، ساعياً إلى استجلاء موقفه منها ومناقشتها في إطار علمي تداولي.

قال أبو العباس: أخبرني المازني "أنَّ مروان بن سعيد بن عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة سأل الكسائي بحضرة يونس: أيّ شيءٍ تشبه أيّ من الكلام؟ فقال: مَا، ومَن. فقال: كيف تقول: لَأَضْرِبَنَّ من في الدار؟ قال: [لَأَضْرِبَنَّ من في الدار قال: فكيف تقول: لَأَرْكَبَنَّ ما تَركبُ. قال: لَأَرْكَبَنَّ ما تَركبُ. قال: فكيف تقول]: ضَرَبْتُ مَن في الدار؟ [قال: ضَرَبْتُ من في الدار] قال: فكيف تقول: ركبتُ مَا رَكِبْتَ؟ قال: رَكَبْتُ مَا رَكِبْتَ. قال: فكيف تقول: لَأَضْرِبَنَّ أيّهم في الدار؟ قال: لَأَضْرِبَنَّ أيّهم في الدار"[٥١].

يتكوَّن هذا الخطاب من طرفين رئيسين هما: مروان بن سعيد بوصفه المتكلم، والكسائي بوصفه المخاطَب. ونلحظ أنَّ مروان استهلّ الخطاب دون مراعاة مبدأ التأدب، من خلال تجاوزه لمرحلة الاستئذان وبدأه بطرح الأسئلة مباشرة، وهو ما يُعدُّ خرقاً لقاعدة التخيير، الذي يُعدّ من المبادئ الأساسية في النظريات التداولية للتأدب.

في المقابل، يظهر التزام الكسائي بمبدأ التأدب بشكل واضح، إذ أجاب عن جميع الأسئلة المطروحة من المتكلم، ملتزماً جانب الإيجاز والتوافق، من غير إبداء أيّ معارضة أو رفض. ويُفهَم من هذا التفاعل أنَّ المخاطَب سعى إلى الحفاظ على سير الحوار بروح من الاحترام والانسجام، مُتجنِّباً كل ما من شأنه أنْ يُحدث توتّراً أو صراعاً تداوليّاً، وهو ما يعكس التزاماً ضمنيّاً بقاعدة الاتفاق في التأدب الخطابي.

ومثلما وجدنا أنَّ علماء النحو القدماء يتفقون في بعض المسائل النحوية ويلتزمون بمبادئ التأدب، كذلك نجدهم يخرقون هذه القاعدة، ولاسيما وأنَّ النحو مُنقسم على مدرستين البصرة والكوفة، وهذا غالباً ما يكون مدعاة للاختلاف فيما بينهم.

وأمّا مظاهر خرق مبدأ التأدب قاعدة الاتفاق، فتتجلّى في الحوار الذي دار بين المازني (ت ٢٤٧هـ) وثعلب (ت ٢٩١هـ) بشأن مسألة جواز تعريف خبر (لا)، إذ اتّسم الخطاب بينهما بحدّةٍ تخرج عن مقتضيات التأدب في التواصل العلمي.

قال الزجاجي " وجدت بخط أبي العباس ثعلب: قال أبو عثمان المازني: لا يجوز: لا رَجُلَ زَيدٌ البَتَّةَ، لا على التكرير ولا على الإفراد؛ لأنَّ لا إذا لم يكن شيئاً بعينه لم يكن خبره شيئاً بعينه. قلت: لا رَجُلَ أَفْضَلُ مِنْكَ، أليس هو شيئاً معروفاً بعينه؟ قال: لا، لأنَّ أفضل منك صفةٌ للخلق.

وقال: قال الأخفش ورواه رواية: لا موضع صدقة أنت. قال: هو عندي ظرفٌ، كأنَّه قال: لا أنت في موضع صدقة. ولم يحتج إلى تكرير لا، لأنَّه كالمثل، لأنَّ لا إذا وقعت على معرفة فلا بد من تكرير الكلام. فأنت معرفة ولكنه كالمثل، والمثل يجيء على خلاف الباب. ألا ترى أنَّك تقول: ((وَرَيتُ بِكَ زِنَادِي)) في المثل، وفي الكلام: ورت الزناد ترى. ومثله قوله: ((أسَاءَ سَمْعَاً فَأَسَاءَ إجَابَةً))، وفي الكلام تقول: أَجَابَ إجَابَةً وجَوَابَاً، كل ذلك يجوز، ولا يجوز في المثل إلا ما حكي.

وقال: محالٌ أنْ تقول: لا فتى هَيْجَاءَ أنتَ، لا تكون معرفة. قلت: فتقول:

لا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ... وَلَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ

أليس ذو الفقار معرفة وعلي معرفة؟ فقال المازني: معناه لا سيف موجودٌ إلّا ذو الفقار، ولا فتى موجودٌ إلّا علي. والعرب قد توسعت في إضمار خبر النفي. ألا ترى أنَّك تقول: لا بأسَ ولا ضَيرَ، تضمر الخبر، وذلك موجود. وقولهم: لا عليك، أشد من هذا، ومعناه: لا بأسَ عليك. قلت: فما تقول في قول الشاعر[٥٢]:

لا ذرى هو أذرى من جفانهم ... مثل الجوابي على عادي أعداد

قال: لا يكون خبر النفي معرفة. وقوله: ((لا ذَرَى هو أَذْرَى))، فقوله هو أذرى جملة، والجملة تقع صفة للنكرة. ألا ترى أنَّك تقول: لا رَجُلَ أَبُوهُ مُنْطَلِقٌ، فلما وقع صفة للنكرة وقع خبرا للنكرة. تقول رأيتُ رَجُلاً أَبُوهُ مُنْطَلِقٌ، وأبوه منطلق جملة وقعت في موضع الصفة للنكرة، فلحال هذا صارت خبراً للنكرة، ووقوعها في موضع الصفة للنكرة "[٥٣].

الظاهر من هذا الحوار الذي نقله لنا الزجاجي أنَّ هذا الخطاب كان بين طرفين، الأول ثعلب وهو المتكلم، أمّا المخاطَب فهو المازني.

يُستهلّ الخطاب التداولي بطرح المازني لمسألة نحوية تُقدَّم بصيغة عامّة، ممَّا يُمهّد لحوار علمي مفتوح. ويعمد ثعلب إلى تفعيل هذا النقاش عبر توجيه سؤال يختبر فيه حدود الفهم النحوي للمخاطَب، فيقول: "لا رَجُلَ أَفْضَلُ مِنكَ، أليس هو شيئاً معروفاً بعينه؟". ويتّسم هذا الحوار بصيغة الفعل التقريري الذي تهدف إلى دفع المحاوَر نحو التفاعل، إلَّا أنَّ المازني يُبدي عدم موافقته، كما يتّضح من ردّه المقتضب بكلمة "لا"، وهو ما يكشف عن تباين في الرؤية النحوية بين الطرفين، مع التزام ظاهر بحدود الأدب في التفاعل التداولي.

ويتواصل الخطاب فيما بين المتخاطِبَين، ويُعطي المتكلم مثالاً آخر على هذه المسألة: فتقول:

لا سيفَ إلّا ذو الفقا رِ ولا فتى إلّا عليّ.

أليس ذو الفقار معرفة وعليّ معرفة؟، ويردّ عليه المخاطَب بعدم الاتفاق أيضاً بلحاظ قوله: معناه لا سيف موجود إلّا ذو الفقار، ولا فتى موجود إلّا عليّ ...

وهكذا يتواصل الخطاب بينهم ويسأله عن شاهد ثالث، ويُجيب المازني عنه بغير رأي ثعلب أيضاً.

يتّضح من مجريات الخطاب أنَّ المتحاورين لم يكونا على وفاق في الرأي، وهو ما يعكس تبايناً منهجيّاً بينهما. ومردّ هذا الاختلاف، كما أشرنا سابقاً، يعود إلى انتماء كلٍّ منهما إلى مدرسة نحوية مختلفة؛ إذ ينتمي المازني إلى المدرسة

البصرية ذات الاتجاه القياسي الصارم، في حين يُمثّل ثعلب المدرسة الكوفية التي تُعرف بانفتاحها على الرواية والشاهد. ويُعدّ هذا التباين في الخلفية العلمية أحد العوامل المؤثرة في إنتاج الخطاب ومقاصده التداولية.

سادساً: قاعدة التعاطف في الخطاب النحوي القديم

تُفيدُ قاعدةُ التَّعاطُفِ، كما سبَقَت الإشارةُ، بضرورةِ التخفيفِ من كُلِّ ما يُمكنُ أنْ يُثيرَ مشاعرَ الكَراهيةِ أو النُّفورِ بين المتكلِّمِ والمُخاطَب، مع التأكيدِ على أهميةِ توظيفِ التَّعابيرِ اللُّغويةِ الَّتي تُسهمُ في ترسيخِ أواصرِ التفاهمِ والتآلفِ والتعاطُفِ بين الطَّرفين.

وقد تميّزت بعض الخطابات التي دارت بين علماء النحو بالتزامها بمبدأ التأدب، كما يظهر في الحوار الذي جمع الحضرمي (ت ١١٧هـ) والفرزدق (ت ١١٠هـ)، أثناء مناقشتهما العلّة النحوية في تفضيل الرفع في (فَعُولَان) الواردة في أحد الأبيات الشعرية، إذ اتسم الخطاب بينهما بطابع علمي هادئ يعكس احترام كلٍّ منهما لرأي الآخر.(٥٤):

وَعَيْنَانِ قَالَ اللَّهُ كُونَا فَكَانَتَا ... فَعُولَانِ بِالْأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ الْخَمْرُ

رُوي " أنَّ الفرزدق حضر مجلس ابن أبي إسحاق فقال له كيف تنشد هذا البيت:

وَعَيْنَانِ قَالَ اللَّهُ كُونَا فَكَانَتَا ... فَعُولَانِ بِالْأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ الْخَمْرُ

فقال الفرزدق: كذا أنشد، فقال ابن أبي إسحاق: ما كان عليك لو قلت فعولين؟

فقال الفرزدق: لو شِئْتُ أنْ أسْبَحَ لَسَبَحْتُ ونهض فلم يعرف أحد في المجلس ما أراد

قال ابن جني: "أي لو نصب لأخبر أنَّ الله خلقهما وأمرهما أنْ تفعلا ذلك وإنَّما أراد: هما تفعلان وكان هنا تامة غير محتاجة إلى خبر فكأنَّه قال: وعينان قال الله: أحدثا فحدثتا"(٥٥).

نلحظ في هذا الموضع أنَّ أبا إسحق الحضرمي تَوجَّه إلى الفرزدق بسؤال يَتَّسِم بفعل توجيهي مباشر، إلَّا أنّه التزم بمبدأ التأدب، ويتجلى ذلك في اختياره لعبارة: "كيف تنشد هذا البيت؟"، التي تنطوي على نوع من التخيير الضمني، بما يتوافق مع قاعدة التودد فيضمن إطار مبدأ التأدب عند لايكوف، إذ يظهر حرصه على تخفيف وطأة التوجيه من خلال أسلوبه الاستفهامي.

ويستمر التفاعل الحواري بين الطرفين، إذ يجيب الفرزدق قائلاً: "كذا أنشد"، إلّا أنَّ أبا إسحق لم يُبدِ رَضَاً عن هذه الصيغة، فعقّب قائلاً: "ماذا كان عليك لو قلت: فعُولين؟". وعلى الرغم من تحفظه على جواب الفرزدق، فإنَّ نبرة خطابه اتّسمت بالهدوء والرفق، وأبانت عن قدر من التعاطف والمراعاة الشعورية، وهو ما ينسجم مع مبدأ التأدب ويؤشر إلى التزامه بآداب التخاطب التي راعاها بعض علماء النحو القدماء في حواراتهم العلمية.

وما رُوي عن المازني (ت ٢٤٧هـ) وابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) في حضرة الوزير محمد بن عبدالملك الزيات (ت ٢٣٣هـ) الذي ألحّ على المازني بالتعرض لابن السكيت، فتردد المازني في سؤاله؛ لأنَّه كان صديقاً له وخاف عليه أنْ يُخطئ في الإجابة، إلّا أنَّه في نهاية الأمر امتثل لأمر الوزير.

" حدّثنا عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي: حدّثنا أبو العباس محمّد بن يزيد عن المازني قال اجتمعت مع يعقوب بن السّكّيت عند محمّد بن عبد الملك الزيات، فقال لي محمّد بن عبد الملك الزيات: سل أبا يوسف عن مسألة. فكرهت ذلك، وجعلت أتباطأ، وأدافع مخافة أنْ أوحشه، لأنّه كان لي صديقاً. فألحّ علي محمّد بن عبد الملك، وقال لي: لم لا تسأله؟ فاجتهدت في اختيار مسألة سهلة لأقارب يعقوب، فقلت له: ما وزن نَكْتَل من الفعل من قول الله تعالى: ﴿فَأَرسِل مَعَنَآ أَخَانَا نَكتَل﴾[٥٦]؟ فقال لي: نَفْعَل، فقلت: فينبغي أنْ يكون ماضيه (كَتَلَ)! فقال: لا، ليس هذا وزنه، إنَّما هو (نَفْتَعِل)، فقلت له: نفتعل كم حرفاً؟ قال: هو خمسة أحرف، فقلت له: فنكتل، كم حرفاً هو؟ قال: أربعة أحرف فقلت له: أيكون أربعة أحرف بوزن خمسة أحرف؟ فانقطع، وخجل وسكت. فقال محمّد بن عبد الملك: فإنَّما تأخذ كل شهر ألفي درهم على أنَّك لا تحسن ما وزن (نكتل)؟ قال: فلمّا خرجنا قال لي يعقوب: يا أبا عثمان، هل تدري ما صنعت؟ فقلت له: والله لقد قاربتك جهدي وما لي في هذا ذنب"[٥٧].

يتبيَّن من السياق أنَّ الخطاب قد نُسِج في أعقاب إلحاح الوزير على المازني لطرح سؤال على ابن السكيت، كما سبقت الإشارة. وقد اختار المازني . مراعاةً للمقام . مسألة يسيرة يختبر بها ابن السكيت، إلّا أنَّ الإجابة لم تأتِ على النحو المرجو، وهو ما أثار استياء الوزير، فخرج عن مقتضيات مبدأ التأدب في خطابه، ويظهر ذلك جليًّا في قوله:" فإنَّما تأخذ كل شهر ألفي درهم على أنَّك لا تُحْسِن ما وزن نكتل؟"، إذ تضمّن تصريحه توبيخاً مباشراً، وخالياً من مظاهر التودد أو مراعاة المقام.

وفي المقابل، عبّر ابن السكيت عن استيائه من تصرّف المازني، إلّا أنّه حافظ على أسلوب مُؤدَّب يتّسم بالتودد والعتب الرقيق، كما في قوله :"يا أبا عثمان، ما صنعت؟"، وهي عبارة تُبرز حرصه على عدم المواجهة المباشرة، ومراعاة مكانة الطرف الآخر، بما يتوافق مع قاعدة التودد في مبدأ التأدب عند ليتش. ويقابل هذا الموقف استجابة المازني بتعاطف ظاهر مع ابن السكيت، إذ بادر إلى الدفاع عن نفسه بلغة مهذبة خالية من التبرم، ملتزماً بمقتضيات التأدب في قوله :"والله لقد قاربتك جهدي، وما لي في هذا ذنب"، ما يدل على استمرار تمسّكه بمبادئ التخاطب المهذب على الرغم من توتر الموقف.

ويُفصح الخطاب الصادر عن المازني تجاه ابن السكّيت عن بُعدٍ تعاطفيٍّ واضح، إذ تحمل لفظة "قاربتك "دلالة على اجتهاد المتكلم في مراعاة حال المخاطَب، ومحاولته التخفيف عنه، من خلال اختيار مسألة يسيرة لا تُوقعه في الحرج، وهو ما يعكس التزاماً ضمنيّاً بمبدأ التأدب القائم على التعاطف والاعتبار بمقام الآخر.

ومثلما تجلّى الالتزام بمبدأ التأدب في هذه القاعدة، فقد رُصد أيضًا خرقٌ لها في مواضع أخرى، من ذلك ما دار بين أبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٠هـ) والحضرمي (ت ٢٠٥هـ) والأخفش (ت ٢١٥هـ) في سياق مناقشتهم لمسألة جواز الإدغام في قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾[٥٨]؛ إذ اتّسم الخطاب بينهم بشيء من الحدة والخروج عن حدود التأدب المعهودة في النقاشات العلمية.

عن أبي جعفر محمد بن رستم قال: " حدثني أبو حاتم السجستاني قال: كان جزئي على يعقوب، ومنزلتي عنده فيمن يقرأ أنْ أجلس إلى جنب من يقرأ عليه، فإذا فرغ أخذت من الموضع الذي يتركه فأقرأ عليه، فجئت ذات يومٍ ورجلٌ يقرأ

عليه من سورة البقرة حتى انتهى إلى قوله: ﴿وَقَالَ لَهُم نَبِيُّهُم﴾[٥٩] فابتدأت من هذا المكان حتى انتهيت إلى قوله: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾، فَحَصَبَنِي وقال لِي: أَحْسِن أَحْسِن. فأعدت الحرف من غير إدغام، وقد كنت قرأت عليه بالإدغام مراراً كثيرة، فقلت له: هذا لا يجوز الإدغام فيه. فقال: لم وحدثني غير واحد عن أبي عمرو أنَّه كان يدغم؟ فقلت له: أتَّهِم الرواة فإنَّهم لم يضبطوا عنه. فقال: وحدثني فأكثر منه، فقلت: هذا لا يجوز، لأنَّ بينهما واواً وكيف يدغم الحرف في الحرف وبينهما حرف آخر؟ فقال: اقرأ. فقرأت. وكان الأخفش النحوي يجلس خلف اصطوانة يعقوب، فصرت إلى الأخفش فسلمت عليه فقال لِي: يا رَأسَ البَغْلِ لعنك الله، تأبى إلّا أنْ تَعَلَّم ما يعلم المشايخ، والله لا قرأ يعقوب بعدها إلّا كما قلت. قال أبو حاتم: فما قرأ بعدها إلّا كما قلت"[٦٠].

يتألف الحوار في هذا السياق التداولي من ثلاثة أطراف: المتكلِّم، وهو يعقوب؛ والمخاطَب، وهو السجستاني؛ أمَّا الطرف الثالث، فيظهر لاحقاً في مجرى الخطاب، إذ يُقحم نفسه فيه دون تمهيد.

ورد في أحد المواقف المنقولة عن السجستاني أنَّه قرأ الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ دون إدغام، فخاطبه يعقوب مطالباً له بالإدغام. إلّا أنَّ أبا حاتم اعترض على ذلك، مُعلّلاً رفضه الإدغام بوجود حرف فاصل بين الحرفين المتماثلين، ما يُضعف وجه الإدغام من الناحية الصوتية. وبناءً على هذا الخلاف، احتكم السجستاني إلى الأخفش، فصار الأخير هو المتكلم في هذا الموقف الخطابي.

إلّا أنَّ خطاب الأخفش جاء مشحوناً بانفعال لفظي شديد، بلغ حدَّ التجاوز على المخاطَب، إذ خاطب السجستاني بقوله: "يا رأسَ البغلِ، لعنك الله، تأبى إلّا أنْ تعلّم ما يعلم المشائخ". وهذا المثال يُعدّ خروجاً واضحاً عن مبدأ التأدب، نظراً لما ينطوي عليه من إساءة مباشرة، وعدم تعاطف مع المخاطب، بل واستعمال تعبيرات تنطوي على إهانة وتجريح شخصي.

ويبدو من السياق الخطابي أنَّ الأخفش لم يوجّه الخطاب فقط إلى السجستاني، بل ضمّنه تعريضاً بيعقوب، كما يُفْهَمُ من تتمّة الكلام: "والله لا قرأ يعقوب بعدها إلّا كما قلت . أي الأخفش ـ قال أبو حاتم: فما قرأ بعدها إلّا كما قلت". وهو ما يدلّ على أن المتكلم، وهو الأخفش، استخدم آليات خطابية قوامها الهيمنة والانفعال، مبتعداً عن السلوك اللغوي المتأدب، الذي تقتضيه طبيعة الخلاف العلمي بين أهل النحو.

الخاتمة

١.يتّضح أنَّ الخطاب النحوي القديم مثّل بيئة تداولية ثريّة تجسَّدت فيها مبادئ التأدب كما صاغها ليتش في نظريته.

٢.حرص النحويون في محاوراتهم على توظيف آليات لغوية تحقّق مبدأ المجاملة بأبعاده المختلفة، كالابتعاد عن الإلزام المباشر، وتقديم المسوغات، واستعمال أساليب التلطيف والإيثار.

٣. إنَّ رصد مواطن الانزياح عن هذه المبادئ يكشف بُعداً آخر للخطاب، تتقدّم فيه استراتيجية الإقناع على مقتضيات التهذيب، فينعكس ذلك على مستوى العبارة وشدّة الحكم.

٤.ومن ثَمّ، يُعدّ الخطاب النحوي مجالاً خصباً لإثبات أنَّ التأدب ليس قيمة أخلاقية فحسب، بل أداة تداولية فاعلة تسهم في تنظيم التفاعل العلمي وضبط حدوده.

المصادر

. أخبار الحمقى والمغفلين، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، شرحه عبدالأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، ط١، ١٩٩٠م.

. أخبار النحويين البصريين، الحسن بن عبدالله بن المرزبان السيرافي أبو سعيد (ت ٣٦٨هـ)، تح محمد الزيني ومحمد عبدالمنعم خفاجي، مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٦م.

. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت .لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

. الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت ٣١٦هـ)، تح عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت _ لبنان، (د.ت).

. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشؤون الاجتماعية، حمص . سورية، دار اليمامة، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط٤، ١٤١٥هـ

. الاقتراح في أصول النحو وجدله، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، حققه وشرحه د. محمد فجال، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٩م.

. الإمتاع والمؤانسة، أبو حيّان التوحيدي علي بن محمد بن العباس (ت نحو ٤٠٠هـ)، اعتنى به وراجعه هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

. إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

. أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك، جمال الدين أبو محمد بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن يوسف، ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، حققه وعلّق عليه بركات يوسف هبود وسمّى عَمَلَه: مصباح السالك الى أوضح المسالك، راجعه يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت).

. تأريخ بغداد أو مدينة السلام، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تح مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت .لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

. تأريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبدالله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، دراسة وتحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.

. تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم، عبدالرزاق بن فراج الصاعدي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية، ط١، ٢٠٠٢م.

. التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تح د. حسن هنداوي، دار القلم بدمشق، دار إشبيليا بالرياض، ط١، ١٩٩٧، ٢٠٢٤م.

. حروف المعاني والصفات، عبدالرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت ٣٣٧هـ)، تح علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

. الحواشي على درّة الغواص، ابن بِرّي وابن الظفر، تح عبدالحفيظ فرغلي علي قرني، دار الجيل، بيروت .لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبدالقادر عمر البغدادي (١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٩٩٧.

. دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبدالخالق عضيمة، تصدير محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، (د. ت).

. ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس الأعشى الكبير، تح محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت .لبنان، ط١، ١٩٨٠م.

. ديوان الحطيئة بشرح ابن السكّيت والسكّري والسجستاني، تح نعمان أمين طه، منشورات مصطفى الحلبي بمصر، ط١، ١٩٥٨م.

. ديوان الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي (ت ١١٠هـ)، شرحه وضبطه وقدّم له الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت .لبنان، (د. ت).

. الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم أهميته، وأثره، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به، عبدالرحمن بن معاضة الشهري، مكتبة دار المناهج للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٣١هـ.

. شرح أبيات مغني اللبيب، عبدالقادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٣٠هـ)، تح عبدالعزيز رباح، أحمد يوسف دقاق، دار المؤمنون للتراث، بيروت، ط٢، ١٩٨٨.

. شرح الإمام الفارضي على ألفية ابن مالك، العلّامة شمس الدين محمد الفارضي الحنبلي (ت ٩٨١هـ)، تح أبو الكميت، محمد مصطفى الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت .لبنان، ط١، ٢٠١٨م.

. شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبدالله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقّاد (ت ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت .لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.

. شرح تسهيل الفوائد، محمد بن عبدالله ابن الطائي الجيالي أبو عبدالله جمال الدين (ت ٦٧٢هـ)، تح د. عبدالرحمن السيد، د. محمد بدوي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٩٠م.

. شرح كتاب سيبويه للسيرافي، أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبدالله بن المرزبان (ت ٣٦٨هـ)، تح أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت .لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

. صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تح د. سامي النشار، سعاد علي عبدالرزاق، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٠م.

. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ)، تح د. محمود محمد الطناحي، د. عبدالفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.

. طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (ت ٣٧٩هـ)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢، ١٩٨٤م.

. علل النحو، محمد بن عبدالله بن العبّاس أبو الحسن ابن الورّاق (ت ٣٨١هـ)، تح محمود جاسم محمد الدرويش، الرياض .السعودية، ط١، ١٩٩٩م.

. عمدة الكتاب، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت ٣٣٨هـ)، تح بسام عبدالوهاب الجابي، دار ابن حزم، الجفان والجابي للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٤م.

. قلادة النحر في وفيات أهل الدهر، أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد بن علي بامخرمة الهجراني الحضرمي الشافعي (ت ٩٤٧هـ)، عُني به بو جمعة مكري/ خالد زواري، دار المناهج، جدّة، ط١، ٢٠٠٨م.

. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء أبو بشر الملقب سيبويه، (١٨٠هـ)، تح عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨م.

. مبادئ التداولية، جيوفري ليتش، ترجمة عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٣م.

. مجالس العلماء، عبدالرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت ٣٣٧هـ)، تح عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ط٢، ١٩٨٣م.

. مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان، أو محمد عفيف الدين عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت ٧٨٦هـ)، وضع حواشيه خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت .لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

. المسائل والبصريات، أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، تح محمد الشاطر أحمد محمد أحمد، مطبعة المدني، ط١، ١٩٨٥م.

. المساعد على تسهيل الفوائد، بهاء الدين بن عقيل، تح د. محمد كامل بركات، جامعة أم القرى، دار الفكر، دمشق. دار المدني، جدّة، ط١، ١٤٠٠. ١٤٠٥هـ.

. معجم الأدباء إرشاد الأريب الى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي (ت ٦٢٦هـ)، تح إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ١٩٩٣م.

. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن يوسف، أبو محمد جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، تح د. مازن المبارك، علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.

. نزهة الألباب في طبقات الأدباء، عبدالرحمن بن محمد بن عبيدالله الأنصاري أبو البركات كمال الدين الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تح إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء. الأردن، ط٣، ١٩٨٥م.

. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تح أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.

الرسائل

. الخطاب الأخلاقي عند الفيض الكاشاني دراسة في ضوء مبدأ التأدب التداولي، معصومة محمد عبد العزير، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠٢٣م.

الدوريات

. تداولية الفعل الكلامي في مجالس العلماء للزجاجي (التعبيرات أنموذجاً)، بسمة أحمد صالح الغامدي، أ.م هدى بنت عيد عبدالملك بسيوني، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ٥٤، ٢٠٢٤.

. نظرية التأدب في اللسانيات التداولية، د. حاتم عبيد، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مجلد ٤٣، العدد١، ٢٠١٤م.

. وصية النبي الأكرم (ﷺ) لأبي ذرّ الغفاري، قراءة تداولية في ضوء مبدأ (التأدب والتواجه والتأدب الأقصى)، حيدر عيدان كاظم، أ. د ليث قابل الوائلي، مجلة الباحث، جامعة كربلاء، العدد الأربعون، المجلد واحد، ٢٠٢١م.

الهوامش

[١] اللسان والميزان: ٢٤٥.٢٤٦.

[٢] استراتيجيات الخطاب: ١٠٩.

[٣] المرجع نفسه: ١١٠.

[٤] اللسان والميزان: ٢٤٦.

[٥] نظرية التأدب في اللسانيات التداولية: ١٢٦.

[٦] ينظر: مبادئ التداولية، جيوفري ليتش: ١٣٩. ١٤٠، استراتيجيات الخطاب: ١١١، نظرية التأدب في اللسانيات التداولية: ١٢٧، الخطاب الأخلاقي عند الفيض الكاشاني دراسة في ضوء مبدأ التأدب التداولي: ٩١.

[٧] استراتيجيات الخطاب: ١١١، وينظر: مبادئ التداولية، ليتش: ١٤٠.١٤١.

[٨] ينظر: مبادئ التداولية، ليتش: ١٧٦.١٧٧.

[٩] ينظر: مبادئ التداولية، ليتش: ١٧٨.١٧٩، اللسان والميزان:٢٤٦.

[١٠] ينظر: مبادئ التداولية، ليتش: ١٧٩.١٨١، استراتيجية الخطاب: ١١٢

[١١] ينظر: مبادئ التداولية، ليتش: ١٧٤، اللسان والميزان: ٢٤٧، استراتيجيات الخطاب: ١١٢.

[١٢] ينظر: مبادئ التداولية، ليتش: ١٧٤، اللسان والميزان: ٢٤٧.

[١٣] استراتيجيات الخطاب: ١١٢.

[١٤] مجالس العلماء: ١٩٦.

[١٥] الإمتاع والمؤانسة: ٩٠، صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام: ٢٤٤.

[١٦] الإمتاع والمؤانسة: ٩٠، معجم الأدباء: ٢/ ٨٩٤.

[١٧] وصية الرسول الأعظم (ﷺ) لأبي ذر الغفاري، قراءة تداولية: ٢٨٩.

[١٨] معجم الأدباء: ٢/ ٨٩٤.٨٩٥.

[١٩] الإمتاع والمؤانسة: ٩٠.

[٢٠] معجم الأدباء: ٢/ ٨٩٥.

[٢١] تأريخ بغداد: ١١/ ٤٠٤، أخبار الحمقى والمغفلين: ١٢٩، الوافي بالوفيات: ٢١/ ٥٠.

[٢٢]. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢/ ١١٣٩.

[٢٣] البيت للحارث بن خالد المخزومي، ينظر: خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب: ١/ ٤٥٣.٤٥٤، وجاء بلفظ (أظلوم).

[٢٤] ديوان الأعشى الكبير: ٢٠٠، وفي رواية الديوان: أبانا فلا رميت من عندنا.

[٢٥] المصدر نفسه: ١٠٥.

[٢٦] ديوان جرير: ١/ ٨٩.

[٢٧] طبقات النحويين واللغويين: ٨٧.٨٨، وينظر: عمدة الكتاب: ٥٢.

[٢٨] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٧٦. وينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: ٣/ ٤٦١، ٤٦٨.

[٢٩] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٧٦.

[٣٠] تأريخ بغداد: ١١/ ٤٠٤، أخبار الحمقى والمغفلين: ١٢٩، الوافي بالوفيات: ٢١/٥٠.

[٣١] معجم الأدباء: ٥/ ٢١٢٨.٢١٢٩، إعراب القرآن وبيانه: ٦/ ١١٧.١١٨، وينظر أصل المسألة النحوية في: الكتاب:٢/٧٥.٧٧.

[٣٢] ديوان الفرزدق: ٢٢٥، وفي روايته: غداة أحلت لابن أصرم طعنة.

[٣٣] ديوان الحطيئة بشرح ابن السكّيت والسكّري والسجستاني: ١٨٣.

[٣٤] إنباه الرواة على أنباه النحاة: ٤/ ٧٨، وينظر: شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضموم التوضيح في النحو: ١/ ٤٠٢، ينظر: أصل المسألة: أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك: ٢/ ٨٨.

[٣٥] تداولية الفعل الكلامي في مجالس العلماء للزجاجي: ٣٨.

[٣٦] تأريخ بغداد: ١١/ ٤٠٤، نزهة الألباء في طبقات الأدباء: ٦٢، إنباه الرواة على أنباه النحاة: ٢/ ٢٦٠.

[٣٧] سورة الشعراء/٢١٥.

[٣٨] قائل الأبيات لم يُذكر اسمه في المصادر التي تناولت هذه القصة. ويبدو أن الأبيات وضعت لغرض الامتحان الفقهي والنحوي، وليس لها شاعر معروف. وذكرت في شرح أبيات مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري: ١/ ٣٢٤، وينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب:١/ ٤٦١.٤٦٨.

[٣٩] مجالس العلماء: ٢٥٩، وينظر: شرح أبيات مغني اللبيب: ٣٢٦/١، الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم أهميته، وأثره، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به:٨١٦.

[٤٠] تداولية الفعل الكلامي في مجالس العلماء للزجاجي: ٤٥.

[٤١] مجالس العلماء: ٤٨. وينظر أصل المسألة النحوية في: الأصول في النحو: ١/ ١١٨،

[٤٢] لم أجد قائل هذين البيتين، ويبدو من خلال السياق أنَّهما من نظم اليزيدي.

[٤٣] مجالس العلماء: ١٩٥، وينظر: الحواشي على درّة الغواص: ٧٥٣، مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان: ٢/٥، طبقات الشافعية الكبرى: ٣/ ١٤٢، قلادة النحر في وفيات أهل الدهر: ٢/ ٣٦٤.

[٤٤] ينظر: مبادئ التداولية، ليتش: ١٧٩.

[٤٥] تداولية الفعل الكلامي في مجالس العلماء للزجاجي: ٤٢.

[٤٦] مجالس العلماء: ٤٨، وينظر أصل المسألة النحوية في: الأصول في النحو: ١/ ١١٨، المسائل والبصريات: ٢/ ٨٣٨، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: ١/ ٩٧، المساعد على تسهيل الفوائد: ٢/ ١٣٦.

[٤٧] مجالس العلماء: ٤٨.

[٤٨] سورة الشورى/ ١١.

[٤٩] مجالس العلماء: ٩١، وينظر أصل المسألة النحوية في: الأصول في النحو: ١/ ٤٣٨، حروف المعاني والصفات: ٤٠، شرح كتاب سيبويه للسيرافي: ١/ ٢٣٥.

[٥٠] تداولية الفعل الكلامي في مجالس العلماء للزجاجي: ٤٠.

[٥١] أخبار النحويين البصريين: ٢٨.٢٩، شرح الإمام الفارضي على ألفية ابن مالك: ١/ ٢٥٩.

[٥٢] لم أجد قائله.

[٥٣] مجالس العلماء: ٨٢.٨٣، وينظر أصل المسألة النحوية في: الكتاب: ٢/٢٩٣، الأصول في النحو: ١/ ٣٩٧، ٤٠٨، علل النحو: ٤٠٧.

[٥٤] ديوان ذو الرمّة: ١/ ٥٧٨.

[٥٥] الاقتراح في أصول النحو وجدله: ٢٨١.٢٨٢، وينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم: ١١/ ٢٣٢، أصول النحو: ١٠٧.١٠٨.

[٥٦] سورة يوسف/٦٣.

[٥٧] وفيات الأعيان: ٦/ ٣٩٧، تأريخ مدينة دمشق: ٧٤/ ١٥٣.١٥٤، وينظر: الحواشي على درّة الغواص: ٧٦٨، تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم: ١/ ٤٤.٤٥.

[٥٨] سورة البقرة/٢٤٨.

[٥٩] سورة البقرة/ ٢٤٧.

[٦٠] مجالس العلماء:٥١، إنباه الرواة على أنباه النحاة: ٢/ ٦٤.